

٢٢ - مقدمة في «لاهوت» التحرير الإسلامي

آلة شيطانية ضخمة، تروسها بشر، تقتل الأطفال، تمتص دماء البشر، تعذب المرأة وتظلمها، تجتث جذور الثقافات وتنشر المذابح والتطهير العرقي، وحروب الإبادة، والطائفية والعنصرية، الاستعمار، النازية، الفاشية، العنف، القهر، تدمير القيم، نهب ثروات الشعوب والأفراد بلا رحمة وبلا هوادة، وفي كل يوم جديد يزداد جشع تلك الآلة الشيطانية حتى أنها بدأت تأكل نفسها وتفصل حتى عن إطارها الاجتماعي لتصبح هي ذاتها مستقلة عمن صنعوها وخطرا عليهم أيضا.

هذه الآلة الشيطانية هي بالتحديد النتيجة الحتمية للصعود الغربي بدءاً من الكشف الجغرافية والاستعمار وسباق الإعلام وانتهاء بالبورصات العالمية التي تعمل ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة والخبراء والحاسبات الضخمة والأقمار الصناعية والبث المباشر، البنك الدولي والجات وصندوق النقد الدولي، ومجلس الأمن وقوات حفظ السلام الدولية! وأخيراً الشركات العابرة للقوميات والتي أصبحت ميزانية واحدة منها أكبر من ميزانية دول، هي مجتمعة ميزانيتها أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية

نفسها، أنه عصر الفوضى واللاثقافة واللاحضارة.

وضحايا هذه الآلة بالملايين، بل ألوف الملايين، شعوب كاملة، أطفال، نساء، رجال، حضارات، ثقافات، فقر، جهل، ومرض، مدن الصفيح وإنسان بلا جذور، تخريب بحث للهياكل الاقتصادية والاجتماعية ليحل محلها كومة ضخمة من الخردة وناس بلا مستقبل بل بلا حاضر أيضًا.

هل نقول إن هذه الآلة الشيطانية هي المنظومة الحضارية الغربية باعتبار أن تلك المنظومة الحضارية الغربية هي التي أفرزت تلك الآلة الشيطانية.. نعم ولكن أيضا لا لأن تلك الآلة أصبحت نفسها أكبر من تلك المنظومة واستقلت عنها.

وليس هناك من حل بالطبع سوي تدمير هذه الآلة الشيطانية - الشريرة - ثورة المحرومين والفقراء والمهمشين والمقهورين في كل مكان، ثورة تضم كل ضحايا هذه الآلة، الأفارقة السود، الشعوب المطحونة في آسيا وأمريكا اللاتينية، ضحايا تلك الآلة داخل الغرب نفسه كالمرأة مثلا، المرأة الغربية التي دفعت ثمن الشذوذ والإباحية وتعاني آلامًا مبرحة من مجتمع بلا قيم ولا ضمير.

وعلينا الآن أن نحدد طبيعة هذه الآلة الشيطانية وكذا جذورها والمنظومة الاجتماعية التي أفرزتها، وكذلك تطوراتها حتى وصلت إلى حالتها الراهنة البشعة وإذا كان من المفيد أن نبدأ بشيء، فهو المنظومة

الاجتماعية والحضارية التي أفرزت تلك الآلة الشيطانية، وهي المنظومة الحضارية الغربية التي أعطت تلك الآلة سماتها الثابتة والمتغيرة أيضا، والحضارة الغربية حضارة تقوم على الوثنية والعنف والقهر، ولا يمكن فهم هذه الحضارة ولا ميكانيزمات عملها بعيدا عن سمات العنف والقهر والوثنية، الحضارة الغربية هي حضارة إغريقية هيلينية في جوهرها، أما المسيحية فلم تكن إلا قشرة خارجية لتلك الحضارة، ذلك أن المسيحية تحولت إلى دين إغريقي وثني داخل الغرب ولم يتحول هذا الغرب إلى المسيحية، وعلينا أن ندرك في هذا الصدد أن المسيحية دخلت إلى الغرب عن طريق إمبراطور آمن بها وفهمها على طريقته الإغريقية ثم فرضها على شعبه فرضا، ثم تبنت ممالك هذه الديانة وأكرهت الآخرين على اعتناقها وإلا تعرضوا للذبح، وليس التنصير الوحشي للساكسونيين على يد القديس يونيفاس إلا مجرد نموذج ينطبق على كل الحالات تقريبا، وهكذا تحولت المسيحية إلى ديانة إغريقية، وبدلا من التسامح المسيحي، أصبح العنف جزء أصيل من المسيحية الغربية.

وحتى اليوم يتم تنصيب بابا روما وفقا لقواعد البروتوكول الخاص بتنصيب كهنة المعابد الإغريقية، أضف إلى هذا أو قل نتيجة لهذا فإن الكاثوليكية لعبت دورا هاما في عملية الاستعمار الغربي للعالم، وكانت دائما طليعة للاستعمار وباركت دائما أو شاركت في عملية قهر ونهب

الشعوب الأخرى على يد الغرب في المرحلة الاستعمارية حتى أن الاستعمار في رموز كان عبارة عن عسكريين وتجار ومبشرين!

والبروتستانتية، لم تكن إلا تطوراً في المسيحية الإغريقية واكب مرحلة أخرى من مراحل تطور آلة العنف والقهر الغربي ولم تكن إصلاحاً دينياً بل كانت وصفاً عالمية للنجاح في الأعمال التجارية، ولم تكن عقلانياتها المزعومة إلا نفعية حقيقية وباختصار كان الاقتصاد السياسي هو الديانة البروتستانتية الجديدة ولا ننسى أن المسيحية الغربية التي أصبح العنف سمتها الرئيسية ارتبطت بالمذابح الدينية والحروب الطائفية ومحاكم التفتيش!

مع الصعود الغربي إبان ما يسمى بعهد النهضة الأوروبية، تم بعث الثقافة الإغريقية والهيلينية، وتم بعث الدول والفكرة القومية وظهرت البروتستانتية لتلائم قيم العقلانية والتنوير والنفعية وأصبحت ديانة جوهرها الاقتصاد السياسي وبدأت مرحلة الاستعمار، أو ما يسمى الإعلام حيث تسابقت الدول الأوروبية على استعمار العالم، من خلال إبادة شعوب أمريكا وأستراليا، ومن خلال نهب ثروات تلك القارات المكتشفة وكذا نهب ثروات الشعوب في آسيا وأفريقيا، ثم استرقاق سواعد السود لبناء القاعدة الإنتاجية للغرب، ومن هذا التراكم للثروات المنهوبة واستخدم الرقيق تراكمت الأموال، وظهرت بنوك لتمويل عمليات الاسترقاق أو التجارة خلف البحار وظهرت الثورة الصناعية أو التقدم

الصناعي الغربي والرأسمالية التي أصبحت منذ تلك اللحظة سمة رئيسية من سمات الآلة الشيطانية، ومن سمات الغرب والحضارة الغربية، ويجب أيضًا أن نضع في اعتبارنا أن الرأسمالية أيضًا أصبحت أداة قاسية ساهمت في المزيد من الاستعمار وفتح الأسواق والنهب والقهر وتطوير الأداة العسكرية للغرب ومع عام ١٩١٤ كان معظم العالم خاضعًا للاستعمار الأوروبي، ولكن كان من الطبيعي أن الآلة الشيطانية لا تكف عن العنف فبعد أن مارست هذا العنف والنهب على العالم بأسره مارسته أيضًا مع نفسها، فكانت الحرب العالمية الأولى والثانية.

واستطاعت الآلة الغربية الشيطانية أن تطور نفسها، فكانت مرحلة ما يسمى بتصفية الاستعمار، أو قل مهزلة تصفية الاستعمار ذلك أنه لم يكن أكثر من تطوير للوسائل في عملية النهب والقهر الغربية المستمرة.

ويعبر المفكر الفرنسي ك موريل عن ذلك قائلا: «إن أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار، لقد انتقل الرجل الأبيض إلى الكوايس، لكنه لا يزال مخرج العرض المسرحي».

وبدلاً من العسكر والتجار والمبشرين، أصبحت هناك حكومات وطنية تقوم بمهمة القهر نيابة عن عسكر الغرب وتقوم أيضاً بالوكالة في تسهيل عملية النهب، أصبح هناك جيش وطني وشرطة وطنية مهمتها الوحيدة القمع والقهر، وأصبح هناك وكلاء تجاريون يمررون عملية

النهب، وأصبح هناك مثقفون مغربون يساهمون في اجتثاث جذور الثقافة الوطنية وترويض الإنسان وتنويمه دائماً.

تطورت آلة النهب والقهر، فأصبحت عبارة عن خبراء وبورصات عالمية تعمل ليلاً ونهاراً، أقمار صناعية ومحطات بث مستمرة لاجتثاث الثقافات، مجلس أمن وقبعات زرقاء شركات عابرة للجنسيات، شعارات ومبادئ تسهل عملية النهب وتزيده قوة مثل حرية التجارة، حقوق الإنسان، التنمية التصنيع، التنوير.. إلخ.

والأمر الآن أشبه بمركز كبير للنهب تمتد منه شبكة ضخمة من الأنابيب إلى كل مكان على وجه الأرض، إنه وحش مفترس يمدخراً في كل اتجاه يمتص دماء الآخرين ويتغذى على خلاياهم العصبية ويمجرهم إلى حالة غير مسبوقة من البؤس، وهناك آلات رفع ضخمة تساهم في سرعة تدفق الثروات المنهوبة مثل البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، البورصات، حرية التجارة، المؤتمرات العالمية في مجلس الأمن.. إلخ، وحتى القروض والمنح التي تمنح للمنهوبين من وقت لآخر ليست إلا وسيلة لتنظيف أنابيب النهب وزيادة كفاءتها والمزيد من بناء وتشيد محطات لرفع الثروات المنهوبة والقضاء على أية نتوءات اقتصادية أو ثقافية أو هياكل اجتماعية تعرقل أو تبطئ عملية النهب.

وفي كل يوم يزداد الوحش جشعاً ويزيد جوعه، وفي كل يوم تتطور

الآلة، آلة النهب والقهر الوحشية وتزداد شرارة ويزداد الضحايا كما ونوعا بالتالي، وآخر التطورات في هذا الصدد هو الشركات العابرة للجنسيات، وبدلا من أن تقوم بالمهمة دول قومية، هولندا ثم إنجلترا ثم الولايات المتحدة مثلا، أصبحت الفكرة القومية وسيادة الدول ذاتها في مهب الريح، وإذا كانت تلك الشركات العابرة للجنسية اليوم يمثل رأس مال إحداها أكبر من ميزانية دولة، وتمثل ميزانيتها مجتمعة أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها فإن الأمر مرشح للاتساع في هذا الاتجاه، وهكذا فنحن أمام تطور جديد لشكل وطبيعة النهب سيؤدي بالضرورة إلى قيام علاقات جديدة واقتصاد سياسي جديد، ومزيد من الضحايا الذي لن يفلت منه هذه المرة حتى الغرب ذاته، فالأمر أصبح أكبر من الدول القومية وحتى من قارة بأكملها.. إن الوحش أصبح غير خاضع لأحد ولم يعد له مروضون أو مسيطرون.. إنه المزيد من البؤس.. والفوضى والجنون أيضا.

إن أحد علامات هذه الفوضى هو تنميط الإنسان وفقا لثقافة واحدة، وإذا كان الغزو الثقافي والبهت المباشر وغير المباشر وسيطرة الغرب على وسائل مهيمنة لنشر ثقافة معينة كان بهدف اجتثاث جذور الثقافات الأخرى وتحويل الإنسان من خاضع بالقوة للنهب إلى مدمن لهذا النهب بمعنى أن يسعى هو نفسه إلى الوحش مصاص الدماء ويطلب منه ويلج أن

يمص دمه فإن الأمر حتى سوف يتجاوز هذا التصور إلى عالم بلا ثقافة ولا حضارة على الإطلاق أو نهاية العالم.. ولكن ينبغي أن يكون نهاية الغرب وحده وليس نهاية العالم وهذا يقتضي الثورة لتحطيم الآلة الشيطانية.

على أي حال يجب أن نفكر في معني العالمية، الثقافة العالمية وأن نفكر فيما يروجون له من قيم حضارية واحدة وغيرها، وأن نديم التأمل في معنى أن مراكز البث الإعلامي الغربي تسيطر على صناعة الأخبار والمعلومات والفنون وبالتالي المشاهد والأذواق والأوامر في إطار أنه تغريب للعالم بالقوة بهدف قتل واقتلاع جذور الثقافات الأخرى، وأيضًا هو في النهاية معادة لكل ثقافة، لأنه في عالم ذو ثقافة واحدة فإنه لا ثقافة على الإطلاق! إنه عصر القروود والكائنات المنحطة.

سنبحث الآن عن الضحايا من جهة.. والمستفيدين من جهة أخرى من آلة القهر والنهب الشيطانية مع الأخذ في الاعتبار أن الضحايا يزدادون دائما كما ونوعا، وأن المستفيدين يقلون باستمرار لأن الآلة الشيطانية تزداد شراها بمتواليه هندسية، وسنبحث عن الحل أيضًا.. سنبحث عن العدل المفقود وهو بحث الإنسان الدائم.

وسنبدا بسؤال ساذج وهو هل يمكن إقناع المستفيدين بالكف، عن النهب والقهر، هل يمكن إيقاف عمل الآلة الشيطانية عن طريق الإقناع، أي هل يمكن تحقيق عدل شامل أو حتى جزئي عن الطريق السلمي،

والإجابة الوحيدة هي لا.. لأن طبيعة الآلة وجوهرها عدواني، قهري،
نهيبي، ومن العبث طبعاً إقناع الوحش بالكف عن امتصاص الدماء.

إذن لا طريق إلا الثورة، ولكن ما هي أيديولوجية تلك الثورة وإلى
أي جذر اجتماعي وثقافي تستند، ومن هم جنودها؟! وهذا سؤال نجيب
عليه بعد فرز المعسكرن، معسكر الاستكبار، وكهنة الآلة الشيطانية
ومعسكر الضحايا وبالتالى جنود الثورة.

وسنبداً في دراسة معسكر الاستكبار والمستفيدين، وسوف نستطرد
قليلاً باتجاه الماضي.. في بداية الاستعمار كان من الممكن أن نجد في
المستفيدين دول قومية، أو حتي طبقات اجتماعية فقط داخل هذه الدول
الاستعمارية التجار، البرجوازية الصناعية، العسكر، المبشرين.. أما الآن
ومع التطور الهائل للآلة الشيطانية مع الشركات العابرة للجنسيات
والجترالات الكبار وأصحاب البنوك الكبرى وشبكات البث، وعلي
مستوي أقل الخبراء، المثقفين المغترين الذين يبيعون كلماتهم لقاء شيء من
دماء الفريسة المرتبطين بالترويج للآلة الشيطانية، الوكلاء التجاريون
والحكام المحليين في العالم المستضعف الذين يشاركون في ذبح شعوبهم
ونهبهم لقاء ثمن كبير أو صغير.

أما معسكر الضحايا فهم كل الشعوب المقهورة والمنهوبة في آسيا
وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهم أيضاً المرأة في الغرب التي حولتها الآلة

إلى سلعة تجارية والتي أتعسها السياق الاجتماعي الغربي الذي يسمح بالشذوذ، فمثلا لو كان هناك ٣٠٪ من هذه المجتمعات شواذ وهؤلاء يستهلكون مثلهم في إشباع شذوذهم، فإذا بقي للمرأة الغربية سوي العنوسة والحرمان، ثم لماذا تتحمل المرأة عبء الجنين غير الشرعي وحدها وحتى لو كان هناك حديث عن إجهاض آمن.. ليس هناك طبعا إجهاض آمن لأنها عملية جراحية في النهاية لها آثارها الصحية مهما كانت الوسائل الصحية متقدمة، أليس هذا دليل على الظلم الواقع على المرأة، لماذا لا تحتفظ بجنينها ويتحمل الرجل معها أعباء ولادته وتربيته بدلا من إجهاضه وقلته، المرأة إذن في الغرب ضمن معسكر الضحايا وضمن جنود الثورة بالتالي والطبقة العاملة الغربية وصغار الموظفين والعاطلين أيضا والأطفال اللقطاء كل هؤلاء جنود في الثورة لأنهم ضحايا وإذا كان الغرب في مرحلة تاريخية من تطور آلة النهب والقهر قد نجح في رشوة البروليتاريا وتحييدها بالتالي عن طريق شيء من المكاسب الاقتصادية والاجتماعية فإن استمرار تطور الآلة وبالتالي زيادة جشعها ونهمها اللانهائي سيجعل من المستحيل استمرار تقديم هذه الرشوة وبالتالي فإن هؤلاء الآن أو غدا سيجدون أنفسهم في معسكر الثورة ويجب الأخذ في الاعتبار هنا تزايد معدلات البطالة والتخلص من العمالة باستمرار في الغرب، وهذا أمر مرشح للتوسع والتفاقم.

بقي علينا أن نبحث في أيديولوجية تلك الثورة، وينبغي في البدء أن نقرر حقيقة لا يمكن الشك فيها من منظور فلسفي ومن منظور واقعي وتجريبي أيضا، ذلك أن أيديولوجية أي ثورة لا يمكن أن تكون مستمدة من نفس الأرضية الاجتماعية والفلسفية بل والمعرفية التي أنشأت الأوضاع التي سوف تثور عليها، ولعل هذا بالتحديد كان السبب في فشل تجربتين ثورتين هما الثورة الاشتراكية الماركسية، ولاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية، ولا شك الآن ومن منطلق تجريبي ومعرفي أن ثورة تستند في أساسها الأيديولوجي والثقافي علي ثقافة أفرزت الحالة التي ينبغي الثورة عليها هي ثورة زائفة، بل هي تكريس وتقوية للأوضاع التي يجب الثورة عليها، لابد إذن أن تكون الأيديولوجية الثورية نابعة من سياق ثقافي مخالف بل وعدائي للأرضية الفلسفية والثقافية التي أفرزت الحالة والظاهرة التي تستهدف الثورة الإطاحة بها.

فالماركسية مثلا نشأت من قلب الفلسفة الأوروبية، وبالتحديد الألمانية، واستندت في تحليلها الاقتصادي والتاريخي علي علوم الاقتصاد السياسي وعلم التاريخ الغربي والأوروبي بالتحديد، ولذلك فشلت وما كان لها إلا أن تفشل بل إن فشلها الطبيعي كان دليلا جديدا علي فساد المنظومة الحضارية الغربية برمتها.

يقول المفكر الفرنسي سيرجي لاتوش في كتابه تغريب العالم: «إن

الاشتراكية كما تحققت في الواقع ليست سوى شكل خاص مختلف من النظم الرأسمالية والمجتمعات الغربية، فنحن نلقي بكل تأكيد التصنيع مع التمدين وتحويل الجماهير إلى بروليتاريا لكن بوجه خاص عبادة الآلة والتقنية والعلم والتقدم واستثناف مشروع الحداثة المتمثل في قهر الطبيعة.. إنها نفس ميكانزمات الرأسمالية».

ويقول: «الرأسمالية مجرد آلية - طبيعية عند الليبراليين، اصطناعية عند الاشتراكيين، وبالتالي فالرأسمالية هي الليبرالية والاشتراكية معاً وهي مظهر من مظاهر الخصوصية الغربية للغرب».. ويضيف: «إن النموذج السوفيتي مثل شكلاً مختلفاً للمشروع الغربي أكثر مما مثل بديلاً حقيقياً له». ويقول المفكر الإنجليزي أرنولد توينبي: «إن المنافسة بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية علي زعامة العالم بين الشيوعية والمذهب الحر بالتالي علي اجتذاب ولاء البشرية هو موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي».

ولنفس الأسباب كان من الطبيعي أن تفشل أيضاً مسألة لاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية وأن تكون ثورة زائفة أيضاً، لأن جذرها الثوري ينبع أيضاً من نفس المنظومة الحضارية الغربية ومن نفس الوضع الاجتماعي الذي كان ينبغي الثورة عليه، فلاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية ينبع من الكاثوليكية وهي مسيحية غربية

وجزاء من المكون الثقافي والحضاري الغربي تحمل نفس سماته وعيوبه أيضًا، بل أكثر من هذا فإن الكاثوليكية بالتحديد تتحمل جزء كبير من جريمة استعمار أمريكا اللاتينية وما حدث فيها من إبادة للسكان الأصليين ثم نهب مستمر فيما بعد لثرواتها وشعوبها، وفي هذا الصدد يقول سمير مرقص في مقال له في مجلة القاهرة عدد يناير ١٩٩٤ تحت عنوان (تجربة لاهوت التحرير) «كانت الكنيسة الكاثوليكية جزءًا من المشروع الكلي لغزو واستعمار شعوب القارة الجديدة وقد ساهمت الكنيسة بفاعلية في فرض القانون الاستعماري على المواطنين الأصليين للقارة اللاتينية، ومن المعروف تاريخيًا أن البابا الكسندروس السادس هو الذي قضى بتقسيم القارة الجديدة بين الأسبان والبرتغال».

كانت الدودة إذن داخل الثمرة في كل من الثورة الاشتراكية ولاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية لأنها نتجت من نفس الشجرة التي كان ينبغي أصلاً قطعها وخرقها، وكان من الطبيعي أن تفسد الثمرة.

وعلى هذا إذن أن نبحت عن جذر أيديولوجي للثورة العالمية على الآلة الشيطانية آلة النهب والقهر الغربية خارج شجرة الحضارة الغربية.

ينبغي إذن أن تنتمي إلى ثقافة مغايرة، وذات جذر حضاري مختلف، وبما أن جنود الثورة هم كل شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل والمرأة والعمال والعاطلون وصغار الموظفين في أوروبا وأمريكا فإن

أيديولوجية الثورة ينبغي أن تستند إلى حضارة ذات قيم عالمية ولا شك أن الإسلام هو وحده الذي يمتلك كل هذه الخصائص التي ترشحه لأن يكون جذرًا ثقافيًا لتلك الثورة، فالحضارة الإسلامية حضارة عالمية بكل المقاييس، فمن ناحية فالخطاب الإسلامي لم يوجه إلى منطقة جغرافية أو عرق بشري معين بل للعالم كله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ومن ناحية أخرى فإن الحضارة الإسلامية ساهم فيها الأسود، الأصفر، والأبيض، والأحمر، الأفريقي والآسيوي والأوروبي، التركي والهندي والعربي والفارسي.. إلخ، وإذا كانت التجربة قد أثبتت أن تلك الحضارة استوعبت مساهمات الجميع فكانت عالمية بالتجربة، وأن خطابها عالمي في أصله فإنها وحدها القادرة مرة أخرى على احتضان الثورة العالمية الجديدة وأن تكون جذرًا أيديولوجيًا لها.

وكذلك فإن الحضارة الإسلامية - وإنطلاقاً من الإسلام - لم تحاول إكراه أحد على اعتناق الدين الإسلامي ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.. ومن هنا نجد أنه مازال في العالم الإسلامي أقليات مسيحية ويهودية.. إلخ.. بل نجد أن تلك الأقليات ومن خلال جو التسامح اندمجت في الحضارة الإسلامية دون أن تدخل الإسلام، مما يدل على أن الإسلام هو دين رباني يمكن أن تكون حضارته وثقافته أيديولوجية لغير المسلمين.

نلاحظ أن الحضارة الأوروبية غير عالمية رغم زعمها وترويجها لهذا المصطلح، لأن العالمية تقتضي معايير عالمية، ولا يمكن لحضارة أفرزت العنصرية ونهب الآخر أن تكون عالمية، ولا يمكن لحضارة قامت علي استلاب الآخر وقهره أن تكون عالمية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الإسلام لم يعرف العنصرية «كلكم لآدم وآدم من تراب»، «لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أسود ولا أبيض» وكذلك دعا إلي استئثار البيئة وليس قهرها، ودعا إلي العدل والانصاف والحرية فالجهاد الإسلامي مثلاً كفريضة علي المسلمين يتوجه لإزالة القهر والنهب وإزالة الاستكبار والاستبداد ومحكوم أيضاً باعتبارات وقيم رفيعة بحيث لا يكون هناك عدوان إلا علي الظالمين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فتنة الظلم، والنهب، والقهر ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوْا فَلَا عُدُوْنَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١١٣)، فغايات الثورة الإسلامية وبالتالي العالمية هي القضاء علي النهب والقهر والعنصرية والتغريب وتدمير الآلة الشيطانية الغربية وتحقيق العدل والمساواة واللاعنصرية بل والمجتمع اللاتبقي واحترام كرامة الإنسان أليست هذه هي نفس المبادئ الإسلامية.

وكراهية الظلم - بل وجعل الثورة عليه فريضة إسلامية هي من الأمور المعلومة من الإسلام تماماً، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، وفي الحديث القدسي «وانتقم

ممن رأى مظلوماً فقدّر أن ينصره فلم يفعل» أي أن رؤية الظلم ولو على الآخرين وعدم الثورة على الظالم إنصافاً للمظلوم أمر يستوجب انتقام الله تعالى وغضبه.

ويقول الرسول ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يرفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يرفعوا عنه». وفي اطار الآداب والقيم المعروفة للثورة والجهاد الإسلامي ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. والتراث الإسلامي نصوصاً وحضارة غني بالدعوة إلى الثورة على الظالمين وفق قيم وآداب رفيعة تحول بين الخلط بين الثورة والفتنة والبغي، وتحدد هدف الثورة «الظالمين» ولا شك أن آلة النهب والقهر الغربي وهؤلاء المستفيدين بها ظالمون جائرون لهم ضحايا ومظلومين بالملايين والأمريسيون الثورة وحتى في إطار إنصاف الفقراء والمحرومين وتحقيق العدل الاجتماعي فإن التراث الإسلامي غني بالنصوص والمواقف والرؤى والمناهج التي تجعل منه جذراً ثقافياً لا أيديولوجية الثورة العالمية ثورة الفقراء والمطحونين والمحرومين «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع» والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو دولة أو قارة أو حتى كوكب..

من كان عنده فضل ظهر فليعده به علي من لا ظهر له، من كان عنده فضل مال.. أو فضل زاد أو ملابس.. إلخ فليعده به علي من لا مال له.. إلخ، وهي دعوة لتحقيق المجتمع اللابطقي، ودعوة أيضًا للثورة علي هؤلاء الذين يمنعون ما زاد عن حاجتهم في حين يحتاج إليها الآخرون.

وعلي بن أبي طالب يقول: «ما متع غني إلا بما حرم منه فقير» أي أن تراكم المتعة والغني والمال يأتي من سرقة حقوق الفقراء سواء بسوء توزيع الثروة المتاحة - السرقة من المنبع - أو بأكل فائض قيمة عمل هؤلاء الفقراء بإعطائهم أقل من حقهم في عملهم وكدحهم، أو بتعطيلهم عن العمل أو الفساد أو الرشوة.. إلخ.

وأخيرًا قول أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه ثم لا يخرج علي الناس بسيفه» وهو يؤكد هنا وجوب ومشروعية ثورة الفقراء والمحرومين وهكذا فالإسلام من حيث عالميته، ومن حيث كونه ثقافة مغايرة ومعادية للثقافة والحضارة الغربية، وبحكم نصوصه وتراثه الثوري عمومًا والدعوة إلي ثورة الفقراء والمحرومين خصوصًا يصلح كجذر أيديولوجي للثورة العالمية المنشودة.

وببقي هنا أن يضطلع المسلمون بعبء الثورة العالمية كجنود لها، وكطليعة أيضًا لباقي المطحونين والمحرومين في العالم وأن يضطلع علماء الإسلام بتقديم الإسلام كأيديولوجية للثورة العالمية والأمر هنا ليس

تفضيلاً بلا مبرر للإسلام علي غيره، بل لأن الثقافات الأخرى التي نحترمها ولا نريد القضاء عليها هي ثقافات إما غير ثورية أصلاً، أو أنها غير قادرة من الناحية الفلسفية علي مواجهة ناجحة مع الحضارة الغربية وبالتالي مع آلة النهب والقهر الغربي.

إن الأمر ليس أكثر من قراءة علمية محايدة قراءة تقول بأن عدة قرون من الظلم ولقهر والفقر والنهب والبؤس علي يد الحضارة الغربية وآلتها الشيطانية ينبغي أن تنتهي ولن يكون ذلك إلا بالثورة التي يشارك فيها كل الضحايا وهذه الثورة تحتاج إلي جذر ثقافي وأيديولوجي لا بد أن يكون عالمياً ومعادياً للحضارة الغربية في نفس الوقت ويحمل تراثاً ثورياً واضحاً، وليس هناك إلا الإسلام كدين وكحضارة وكأيديولوجية للثورة الذي يمكنه أن يكون هذا الجذر الثقافي للثورة العالمية المنشودة.
